

# فتش عن الحب.. السر يكمن هناك

جان دوست: لا يهمني أن تسمع صرختي المهم أن أصرخ



## أنا من أنصار «التهجين الثقافي»

أن أعادها بالرغم من القساوة التي رافقتني في تعلمها بل رافقت كل جبلي والأجيال السابقة واللاحقة. لم أستطع أن أكره العربية. إنها لغة جميلة مغوية، فائقة توقع في حبايتها أصحاب القلوب والإحساس المرهفة. أحياناً كثيرة اهتزت طرباً لعبارة قصيرة ترد في قصيدة أو رواية وأغبط نفسي على ذلك بل وأشفق على الذين لا يعرفون العربية لأنهم لا يتذوقون هذا الشهد الرائع.

اللغة الثغنية ملاذ. ملاذ حين تضيق بك لغتك الأم. هناك عند من يمتلك ناصية لغتين مجال أكبر للمناورة اللغوية، تتجلى في سرد الالاف هجئة لغوية محببة. ويغيب سر قوة سرده ووعاله عن بال النقاد.

العرب: اعتمدت على مخزونك الشعري وتقنيات سردية متقدمة متكنا على وقائع التاريخ وتخيالات مبتكرة دمجا عنصري الغربية والاشتياق للوصول إلى الحكمة الروائية المركزة، عند هذه النقطة بالذات هل بلغ جنان الروائي غاية في التفكيك النقدي لما يعيشه النظام العربي والإنسان العربي في مجمل حياته الاجتماعية والسياسية والثقافية، حقيقة نسبية لا مطلقة؟

جان دوست: في الحقيقة أنا اهتمت بالتاريخ الكردي الخاص. لم اقترب من ملكوت هموم الإنسان العربي إلا في الإطار الإنساني العام، أنا في بيئة كردية وأجدني أكثر قدرة على التعبير عنها. استطعت عبر السنوات الـ 35 التي عشتها في كوياني، المدينة الكردية الحدودية، أن أراقب مجتمعي الكردي ثم قادني ذلك إلى النيش في التاريخ الكردي فبحثت عن العوامل التي مهدت للواقع الحالي وانتجته. صحیح انني كتبت باللغة العربية عدداً كبيراً من رواياتي لكنني حاولت نقل ملامح بيئتي الكردية، هموم جبلي، صورة مجتمعي التي غابت عن الإعلام مع الصحافة والروايات. حاولت ذلك مع مجموعة من زملائي طبعاً، سد ثغرة في الرواية العربية كما ساهمت مع غيري فيما يتم تسميته تقديراً بـ "أدب الأقليات" وهو أدب مهمش لم يكن له في الصحافة العربية صدق كبير حتى فترة قريبة. في مناسبات كثيرة قلت: أمر جميل أن نهتم بأدب أميركا اللاتينية، لكن الأجل أن نتعرف على أدب قريب منا روحاً ومناخات مشتركة أعني أدب الأقليات. كيف يكون أحمد خاني مجهولاً لدى القراء والنخبة العربية المثقفة وبابلو نيرودا على كل لسان؟

العرب: تشبكت داخل عائلة دينية جعلك تذهب بعيداً في إنسان العربية إلى جانب الكردية التي كتب بها بشكل جيد، نتسأل عن السر في نجاحك في المزاجية بين الثقافتين العربية والكردية وهل اللغة ملجأ آمن من المنفى؟

جان دوست: فتش عن الحب السر يكمن هناك. أحببت العربية ولم أشأ

الذين نالوا شرف الذود عن المدينة، هناك صديق لي من أيام الطفولة، جاري وزميلي في الدراسة عاد من معسكرات اللجوء في تركيا ليقاتل فاستشهد في تفجير البوابة الحدودية ولقد حسدته على قراره وعلى استشهاده. لم يكن لدي ما أفعله سوى الكتابة بحزن ومحبة عنه في فصل من فصول رواية كوياني.

## المهم أن أصرخ

العرب: بعد هذا التراكم الروائي والخبرة بالبشر والاحتكاك بالأحداث المتسارعة والرهبة، هل لازلت تؤمن بثقافة التسامح بين القوميات المتناحرة والطوائف المتنازعة وهل ما زال لديك أمل في عصر عربي لا يقف على حافة الهاوية؟

جان دوست: نعم. سابقاً أوّمن بثقافة التسامح ما حبيت لأن نقيض التسامح هو الكراهية، والكراهية تدمر العلاقات الإنسانية وتهدم ما بنته الحضارة، وفي اعتقادي لا يكفي الإيمان بالتسامح بل يجب العمل لأجل إشاعته. وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بجعله منهجاً في الحياة. قلت ذات مرة إن للكراهية منابر إعلامية وأبواقاً ومحرضين عليها، فلماذا لا يكون للتسامح مثل ذلك؛ لماذا لا نُنشر بالتسامح في مناهجنا الدراسية لننشئ عليها الأجيال القادمة؟

## منذ هيروشيما والبشرية تعيش هاجس السقوط في هاوية التدمير الذاتي والمنطقة العربية ليست منعزلة عن هذا

بالنسبة إلى موضوع حافة الهاوية فالبشرية تعيش هاجس السقوط في هاوية التدمير الذاتي منذ عقود عديدة منذ هيروشيما على الأقل. والإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض يوشك أن يفشل في إدارة الكوكب، والمنطقة العربية ليست منعزلة عن العالم إذ تتأثر بعمده وجزره لذلك هي تشارك البشرية محنة ووقوفها على حافة الهاوية.

العرب: تشبكت داخل عائلة دينية جعلك تذهب بعيداً في إنسان العربية إلى جانب الكردية التي كتب بها بشكل جيد، نتسأل عن السر في نجاحك في المزاجية بين الثقافتين العربية والكردية وهل اللغة ملجأ آمن من المنفى؟

جان دوست: فتش عن الحب السر يكمن هناك. أحببت العربية ولم أشأ

وتناسها وبيوتها ومائتها وسمائها، الحلم والسراب والوَجع والاطلاق، فما بين الرحلة الفاصلة بين الحياة والموت ماذا تمثل كوياني لجان دوست؟

جان دوست: تكسر حلم وأمل العودة بعد الحرب في كوياني، وهذا ما سبب لي أزمة نفسية وشرخاً روحياً كبيراً. كنت قبل الحرب أعيش أملاً جميلاً، كنت صاحب حلم بالعودة يساعدي على تحمل انتقال الغربية، على اتصال لنفسي سيناويوهات جميلة لعودتي وأنا حي أرزق ولست محمولا في نعش، لكن الحرب دمّرت كل شيء، حملت مزهية حلمي فأصبحت شظايا لا يمكن جمعها من جديد. الآن لا أمل لي بالعودة ومن يعيش بلا أمل فكأنه لا يعيش.

العرب: بين انقراض الكريكات والخراب هل تعتقد أن كوياني تعرضت لمؤامرة أم هي مدينة ضمن مخطط جيوسياسي شامل تحققت بعض فصوله، أم يا ترى صفقة إقليمية؟ وعندما وقعت عين العرب في قبضة تنظيم داعش، ما الإحساس الذي هجم عليك حينها وهل كنت ستحتمل بتدقيقك للذود عنها كمشيقة أو زوجة؟

جان دوست: كوياني من ضحايا السياسة الدولية. أنني جدا إهمال الجانب الإنساني في موضوع كوياني، فهي مدينة كاملة فرغت من سكانها بين ليلة وضحاها وأصبح جميعهم وراء الحدود ينامون على الأرصفة وفي المدارس والحدايق والبساتين والمساجد. مئات الأوف الناس تركوا قراهم ومصالحهم ومزارعهم ومحاصيلهم وقطعان ماشيتهم وهربوا عبر حدود مزروعة بالالغام ومحروسة من الجنزمنة الاتراك.

لم يكن كل ذلك بريئاً من مؤامرة أو صفقة ما، دفع المدنيين مرة أخرى ثمن مخططات العسكر والساسة. أما عن شعوري فهو شعور من هوى في حفرة مظلمة لا قرار لها. صرت أهوي وأهوي وأنا أتمنى فقط أن أصل إلى القاع لأصوت وأنتهي من الكابوس، وشعرت أنني أخون مدينتي لأنني بعيد عنها ولا أذهب لأتضمن لمن يدافعون عنها.

جان دوست: فتش عن الحب السر يكمن هناك. أحببت العربية ولم أشأ

بعض الشعراء والأدباء يعتقدون بأنهم كلما ابتعدوا عن نقاش موضوعات راهنة وعن بيئاتهم حققوا انتشاراً أوسع وكتبوا نصوصاً كونية تضمن لهم "الخلود". الكثير منهم لا يعيش في أبراج عاجية فحسب، بل في علياء لا يبالي فيها بمن يتخيلهم تحته. بينما انخرط الكثير من الكتاب في قضايا شعوبهم إيماناً منهم بتشابك الأدب والسياسة والواقعي واليومي والأحداث الطارئة والسابقة، فالكتاب في النهاية ابن بيئته. وهذا ما نجده في تجربة الكاتب الكردي جان دوست، الذي كان لـ"العرب" هذا الحوار معه.

جان دوست: لكل رواية من الروايتين ظرفها الخاص، "كوياني" كانت وجعي دائماً حين غزت فصول داعش مدينتي التي ولدت وترعرعت فيها شعرت بأن سبها من نار اخترقت روحي. لم أفكر هذا اليوم وأنا أكتب "كوياني" بقضية الهوية. لكنها هيمنت على الكثير من فصول الرواية. إذ لا يمكنني الكتابة بعيداً عن هذا الهم.

كل ما فكرت فيه هو استعادة روح المدينة المنكوبة والمدمرة. استعادة طفولتي المنهوبة وشبابي الضائع في أزقتها. استعادة الشوارع والحارات التي شهدت كل شقاواتي ووجعي وخيباتي واحلامي. بنيت كوياني من جديد. أعدت إعمارها بعد أن سوّيت بالأرض.

من جهة أخرى حاولت إلقاء الضوء على معاناة الإنسان العادي في الحروب. تحدثت عن عائلة كردية من كوياني وكيف أن الحرب فرقت شمل هذه العائلة التي ترمز إلى الكثير من العائلات السورية. في رواياتي أنحاؤ للإنسان وأدين الحرب ومن يشعل نيرانها. وهذا تجلّي في رواية ممر آمن التي تحدثت فيها عن الغزو التركي لعفرين واحتلالها فيما بعد.

العرب: عندما نطلع على "ممر آمن" نجد ما يلفتني فيها الطلام اللامع مع الأجزاء العجائبة والاعتقالات التاريخية والأساطورية كعالم تتحرك من خلالها السياسات والحروب والموت، كيف استطعت أن تصنع كل هذه التوليفة دون أن تسقط في فخ التكرار وهل لازلت مؤمناً بأن الشعب قادر على إسقاط الطباشير؟

جان دوست: استخدمت الطبشورة رمزاً سردياً. الطبشورة أداة تدوين. تدوين سرديّة ما، قصة، حلم، معلومة وأي شيء آخر. والمفارقة أن بطل القصة الفتى كاميران الذي يسرق طبشورة من مدرسته ليحتفظ بها ثم يسرد لها ما جرى له في الحرب يتماهي مع طبشورته ليفتح بعدها في مياه السيل. الغناء هو النتيجة الحتمية. المسادة تقفئ الروح خالدة. الطباشير تقفئ ولا يبقى سوى ما تم تدوينه هنا أو هناك.

العرب: في "ممر آمن"، ألم تكن مغامرة محفوفة بالخطر تلك التي خضتها بإعطاء الطفل "كاميران" سلطة السرد من قلب الحرب في جل وقائع الرواية؟

جان دوست: بل. كانت مغامرة وكان علي أن أقمص لغة هذا الفتى المراهق وأحلامه ومعاناته. يقول محمود درويش: يولد الأطفال في الحرب رجلاً. وهذا ما ظهر في الرواية. كاميران لا ينسى أن يكرر على مسامعنا أننا نحن الكبار نعتقد أن الأطفال لا يفهمون شيئاً بينما هم يفهمون أكثر منا. نحن نستهن بقدرات الأطفال ومستوى وعيهم وفهمهم للأحداث لكنهم أكثر حساسية منا. إنهم الأصق في الحديث عن أي معاناة لذلك اخترته ليتولى مهمة السرد. أما هل أنني فسوت على الطفل؟ فاعتقد أن الحرب هي التي قست على أطفال بلادي ورمت بهم في معانيتها وأتونها المتهيب وجعلتهم يكبرون قبل الأوان. أنا قمت فقط بتصوير قسوة الحرب وتأثيرها المدمر على طفل مثل كاميران. بتعبير آخر لا ذنب للكاميرا التي تلتقط مشهداً قاسياً، وروايتي قامت بجملة الكاميرا.

العرب: بين روايتك "كوياني" و"الفاجعة والربيع"

فيكينا عليه وكذا ننفخ أيدينا من العودة. صحیح أن العيش الكريم مؤمن هنا، لقمة العيش بكرامة مؤمنة لكنني فقدت الكثير الكثير. أشعر بنفسي تتقلب عليها روحي. أشعر بنفسي حلزونا فقد قوقعته الصلبة التي كانت تحمي. أعرف كثيرين ممن لا يهتمون بهذا الموضوع، ربما هم من الداخل منسلي لكنهم يكابرون ويظهرون عكس ما يفخون. هؤلاء يتعرضون مع مرور الوقت لآزمات نفسية كثيرة هم أنفسهم يستغربونها.

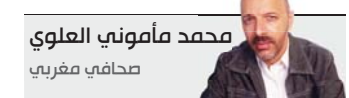
بالنسبة لموضوع المؤرخ الكردي الكبير شرفخان بدليسي عن الشقاق الكردي فهو ليس سوى تشخيص للحالة المستعصية، لكنه لم يقدم حلولاً، وهنا تجلّت أزمة النخبة الثقافية الكردية التي نجحت في متداخلة مترابطة ولكنها فشلت في تحديد العلاج. أكثر من أربعة قرون مرت على ملاحظات الأمير المؤرخ، لكن الكرد لم يتغيروا لقد أصبح الحديث عن الشقاق الكردي بمثابة المقدمة المطلوبة والتي يجب أن يبدأ بها أي شاعر كردي أو أي كاتب. فالملحوظ للأسف لا يعود كونه شكوى من القدر الأزعن، إذ في حالة الأفة وجدنا عند المفكر والشاعر أحمد خاني (من القرن السابع عشر) بعضاً من الإفاضة في الموضوع وطرح جملة من الحلول الواقعية لكنها للأسف لم تتحقق.

العرب: لا يمكن الحديث عن التطرف كككرة وأيديولوجية دون المرور من ثوابت التربية والقمع والظلم، هذا ما فهمناه على الأقل في رواية "كوياني"، هل أنت متعاطف مع الإرهابيين لأنهم مسلوبي الإرادة؟ وإذا كان كذلك فهل ينسحب الأمر على الأنظمة القمعية كونها مرهونة للقرار الخارجي؟

جان دوست: أنا لست متعاطف مع أي داعشي، الداعشي مجرم يتخذ الدين مطية للإرهاب لكنني أحل في روايتي أحد الأسباب التي تدعو الناس إلى الانخراط في تنظيمات متطرفة مثل القاعدة وداعش وغيرهما. الياس أولاً. ثم النشوء في بيئة غير متوازنة نفسياً. لا يكفي أن ندين الإرهاب والتطرف. علينا البحث في جذورهما ووضع حلول جذرية. لن ينتهي الإرهاب بانتهاج هذا التنظيم أو ذاك. إنه نبات شيطاني، يشبه المرجان، ينمو مهما قطعته. لكنه حتماً سينتهي أو سيضعف على الأقل إن نجحنا في إقامة مجتمعات يسودها العدل وتضمن فيها كرامة الإنسان وينتفي منها الفقر. القضاء على الإرهاب لا يتم فقط بقتل الإرهابيين، بل بالقضاء على أسباب الإرهاب.

الأنظمة القمعية لا يمكن مقارنتها مع شخص تعرض للغسيل دماغ وأصبح آلة قتل فهذه الأنظمة القمعية المستتدة هي وليدة بيئة محلية قبل أن تكون مرهونة للقرار الخارجي. نحن من نضع طغائنا وهم من ينتجون المتطرفين بطغيانهم. هذه الأنظمة التي ابتليت منطقتنا بها هي في الأساس مفرخة الإرهاب والتطرف، لذلك فإن من وسائل القضاء على الإرهاب هو تقيد الاستبداد ورفع الظلم عن كواهل الشعوب.

العرب: بين روايتك "كوياني" و"الفاجعة والربيع"



محمد مأموني العلوي صحافي مغربي

العرب: تقدمك ويكيبديا بالكاتب الكردي السوري الذي يحمل الجنسية الألمانية المولود في مدينة كوياني، كيف تقدم لنا نفسك منطلقاً من هذه المناطق الثلاث الحساسة، وهل يمكننا من خلالها كمنافذ الإطلاة على جان دوست الحامل لموروث ثقافي وحضاري وهم سياسي؟

جان دوست: لا يمكن فصل الهوية الجغرافية ولا فصل الثقافي عنهما. الهوية تنتجها الجغرافيا مستوذة من ثقافة سكانها. والثقافة ابنة بيئتها الجغرافية الهوياتية الخاصة. وهكذا فهذه العوالم الثلاثة متداخلة مترابطة بوشائج قوية بحيث تشكل الصورة العامة لأي شعب. وأنا نتاج هذه البيئة المترابطة التي ولدت هوية خاصة رسمت لي ملامح شخصيتي الثقافية. لكن في الحقيقة ليست هناك ثقافة تنمو بمعزل عن تأثيرات ثقافة مجاورة سواء بالإكراه، كما في حالة الدول التي تتقاسم مصير الكرد وأرضهم، أو بالتراضي كما في حالات أخرى. لا أنزع إلى الثقافة القومية الخالصة، بل أنا من أنصار "التهجين الثقافي". مقتل أي ثقافة في انزعائها وتوقعها ضمن حدودها القومية وعدم انفتاحها على الثقافات الأخرى.

## الروائي كتب باللغة العربية عددا كبيرا من رواياته لكنه يقر بأنه يحاول نقل ملامح بيئته الكردية وهموم جيله

أما الهم السياسي الذي أحمله فله علاقة وثيقة بالهوية. مجرد الانتماء إلى أقلية مقموعة أو شعب مضطهد يسؤل المرء إلى كائن مشغول بهموم سياسية كبيرة. وأنا منذ فتحت عيني في عائلة كردية الانتماء أحمل الهم السياسي المتختم بالفضال في سبيل رفع الغبن عن لغتي الأم أو لا كماهم مصدر من محددات الهوية ثم عن قومي أي الجماعة البشرية التي أنتمي إليها بمحض الصدفة ثانياً.

## الأدب والسياسة

العرب: اخترت لدواع سياسية ألمانيا كعقراً إقامة هروباً مما قلت إنه تضيق على الحرية والرأي، ما الثمن الذي دفعته نظير ما تتمتع به من فسحة في هذا البلد الغربي؟ وفي إطار الاندماج الهوياتي الكردي إلى أي حد أنت متفق مع شرفخان بدليسي عندما كتب: فلا يطبع الأكراد بعضهم بعضاً، فلا اتفاق بينهم ولا تعاون؟

جان دوست: الثمن الذي دفعته لهذه الغربية مقابل فسحة الحرية باهظ جداً. أنا شخص بالغ الحساسية وقد دمّرني الغربية من الداخل حتى لم يبق مني سوى بقايا روح تحاول الوصول إلى النهاية بأقل الخسائر. وقصتي القصيرة حفنة تراب كما تفضلت تعبير عن الاعتراض. فقد تركنا وراعنا وطننا قاسياً نحن إليه، ثم شاهدنا كيف تحول إلى خرائب وأطلال

